وتجدر الاشارة هنا، إلى ان بعض العناوين المذكورة أعلاه ورد في الاصل، وبعضها لم يرد. اما العناوين التي وردت، فهي العنوانان الرابع والسادس؛ وأما سائر العناوين، فقد وضعناها نحن استنباطاً من سياق كلام المؤلف أو من فراغات تركها في المتن بين فصل وآخر من دون عنوان، وذلك تسهيلاً على القارىء. فما أسميناه الفصل الاول واضح انه مقدمة عامة، وان لم يذكر المؤلف ذلك. وما أسميناه الفصل الثاني يعالج، في قسمين متسلسلين، ما ورد في كل من التوراة والتلمود من ذكر لفلسطين وعودة اليهود اليها. وما أسميناه الفصل الثالث يقتصر على اللمحة التاريخية المشار اليها. وما أسميناه الفصل الخامس يتناول الصهيونية الحديثة منذ نشأتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ونحن على يقين من أننا لم نضف بذلك على الكتاب تركيباً، أو بنية غريبة عن مقصد المؤلف، أو منطقه، أو عن ترابط أفكاره وتسلسلها.

الفصل الاول

تشكل المقدمة خلاصة لنظرة المؤلف العامة في الصهيونية، ولسلسلة الافكار الرئيسية التي يستفيض في شرحها في الفصول التالية.

«السيونزم» تدل في اصطلاح الصهيونيين على «نظرية حديثة انتشرت بين يهود أوروبا الشرقية سيما بين يهود روسيا ولهستان [يقصد بولندا] ورومانيا يراد بها تأسيس دولة يهودية في فلسطين حيث يهاجر اليها جميع اليهود المتألمين من الاضطهاد المسمى باصطلاح الافرنج ' انتي سيمتزم' ليؤسسوا في فلسطين، على قواعد ملّتهم، وطناً خاصاً بهم تعترف الامم المتمدنة بوجوده».

أما منشأ النظرية الصهيونية «فهو الاعتقادات المذهبية والكتب الدينية من التوراة والتلمود والآداب العبرانية المؤلفة في القرون الوسطى وفي أيامنا هذه التي برزت فيها بصورة جديدة فانها بأجمعها تحرض اليهود على الرجوع إلى فلسطين وتحصر السعادة الدينية والدنيوية في امتلاك صهيون والحكم فيها».

وما زال اليهود «يمنون النفس بهذه الآماني في القرون الاولى والوسطى ولا يقوون على التظاهر بها... إلى ان جاءت القرون الاخيرة التي تأسست فيها الحرية... فوضع في أواسط القرن الثامن عشر موبز مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦) نظرية حديثة صدّق على صحتها جمهور الحاخامين».

أما نظرية مندلسون هذه، فقد «فرّقت الدين الموسوي عن القومية اليهودية وشجعت اليهود على التجنس بجنسية البلاد التي ولدوا فيها مثل المانيا والنمسا وفرنسا وانكلترا وعلى التشبه بباقي أهالي البلاد... وأنستهم أرض فلسطين... واللغة العبرية... فأقبلوا على اللغات الاوروبية الحية كالالمانية والطليانية... والافرنسية واعتبر الكثير منهم ان صهيون... انما هي رمز عن سيادة العدل والصلاح على جميع البشر ولم يبق لهم أمل باسترجاع ملك داود ولا باسترداد فلسطين وعاشوا في اوروبا الغربية عيشة رضية ممتزجين بأهلها... يكاد الناظر اليهم لا يرى الا فرنسياً أو انكيزياً، مثلاً، بقطع النظر عن كونه يهودياً أو مسيحياً من الكاثوليك أو البروتستانت لشدة المشابهة بينهم».

فاذا كان هذا هو حال اليهود في البلاد الاوروبية الغربية، فان حالهم في اوروبا الشرقية قد اختلف، ذلك بأنهم «عاشوا هناك منعزلين عن مواطنيهم المسيحين وغير ممتزجين ولا متشابهين بهم». وما ان حلّت سنة ١٨٨١ حتى اشتد الضغط على يهود روسيا القيصرية نتيجة التدابير التي